



دعوة لإستشراف مستقبل

الكنيسة القبطية

(الأبحاث والحوار طريق المستقبل)

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠١٩

الأبحاث والحوار طريق المستقبل

توقفت دراسة أستاذنا الجليل والشريف د. وهيب عطالله عند القديس أغسطينوس في موضوع الخطية الأصلية، وهو أحد مكونات رد أغسطينوس على بدعة بيلاجيوس.

ولكل دراسة مجال زمني تقف عنده، ولكن ملف التاريخ مفتوح لا يمكن لأحد أن يغلقه، فقد امتد البحث في موضوع الخطية الأصلية في مجلد الأستاذ السابق

N.P. Williams: The Ideas the Fall and Original Sin.

وهي محاضرات جامعة أكسفورد ونُشِرت عام ١٩٢٤. ولم تتوقف عجلة البحث. الأكاديميات تكتب للمستقبل. وتصحيح الأخطاء لا يصاحبه تهديد بالحرمان أو القطع من شركة الكنيسة، وإنما بنشر ما لم يُنشر، وما توقف عنده البحث في فترة زمانية محددة.

في مناخ الحرية الفكرية تنشط الدوريات، وتظهر الكتب الدراسية لكي يتولى مراجعتها وإصلاحها الجيل الذي درس هذه الكتب ووجد فيها من القصور ما يستوجب الإصلاح، وهكذا اختفت مؤلفات بولتمان، وأصبح البحث عن يسوع التاريخ هو ما يكشف عن رؤية الباحث وحدودها.

كما غاب هرنالك من قوائم الكتب الدراسية دون شتائم أو اتهامات، وقام كولمان Callmann وفي نفس الفترة الزمانية يواقيم جيرمياس بمراجعة ما صدر من دراسات، وجاءت أكبر حركة مراجعة مع بداية القرن العشرين ولا زالت.

طبعًا غاب من الفكر الأوربي برمته تراث الأرثوذكسية الذي برز دوره عندما بدأ الروس المهاجرون في نشر ما تؤمن به الكنيسة الأرثوذكسية عبر تاريخها الطويل، وأيضًا ما صدر عن جامعات اليونان بعد أن تحررت من توما الإكوبيني ومن سيادة لاهوت العصر الوسيط، في الفترة التي أطلق عليها المطران يوحنا زيزيولاس: "السي البابلي". وكان نشاط المهاجرين واليونانيين هو أيضًا صعب القبول في اليونان عند الذين عاشوا فترة السي البابلي واستفاقوا على ربيع عودة صوت الآباء.

وجاءت مؤلفات اليونانيين التي نُشرت بالفرنسية والألمانية والإنجليزية مثل يناراس ونوسيتوس وأغوريدس وعدد كبير من جيلٍ عاد إلى الآباء بعزمٍ ومثابرة، وتغيّرت الصورة تمامًا، ولكن بفضل تعب الباحثين.

العوامل الأساسية للنهضة

١- حرية الباحث وإمكانية الرد في الدوريات أو الكتب.

٢- تشجيع الباحثين، وهذا لا ينفي وجود مضايقات، ولكنها كانت محدودة بالقانون والمراجع التاريخية، فلم يُقطع أو يُفَرَز أي باحث.

كان سيف الاتهام بالهرطقة الذي أمسك به الأنبا شنودة الثالث موجها إلى الأب متى المسكين، وسُجِّلت محاضرات لاتزال على اليوتيوب عن هرطقات القمص متى المسكين، ثم امتد السيف نفسه إلى الأنبا غريغوريوس، وهو ما سجَّله بيده في خطابات نُشر أغلبها. وكل من اختلف مع الأنبا شنودة مُنعت عنه صلاة الجناز بعد موته مثل د. نظمي لوقا والأستاذ موسى صبري، في حين أن منع صلاة الجناز هو عن المرتدين والمنتحرين فقط.

وقد شملني أنا ذات الاتهام والتهديد بمنع الصلاة عليَّ بعد موتي. وقلت للأنبا شنودة إنني حضرت الجناز العام الذي يقام بعد قداس أحد الشعانين على الأقل ٢٠ مرة،

وواحدة منها تكفي، وقلت له إن أسلوب التهديد لا يحل أي مشكلة.

الآثار البعيدة المدى

١- ليست العبرة في مصطلح الخطية الأصلية أو المعصية الأولى أو غيرها من كلمات، بل في وضع ذنب لم يكن لنا نحن ذرية آدم أي دور فيه بالمرّة. وراثته ذنب آدم وليس فقط الخطية. واعتبار أن الخطية الأصلية وراثية وتنتقل في الزيجة، وكأن سر الزيجة وكل ما كُتِب عنه لم ينزع عن العلاقات الزوجية عار ذنب آدم. هذا دمار لكل مولود. في حين أن الرب نزع نجاسة الموت وأباد قوة الجحيم. ولا شك أن نسيان هذا العمل الإلهي العظيم يطوح بالإيمان في بئر مظلم. ولكن نشط الباحث الفرنسي Jean Delumeau في نشر الآثار التي أدى إليها التعليم بوراثته الخطية في الثقافة الأوربية من القرن ١٣ حتى القرن ١٨ في كتاب Sin and Fear.

عندما نولد مذنبين، وهو الجانب السلبي المدمر الذي يحمله التعليم بالخطية الأصلية، فإننا لن نعيش في سلام، وسوف نتهم أصل وجودنا بأنه هو السبب في الفشل والاستعباد للخطية.

بعد مجمع الفاتيكان الثاني نشط المؤرخون الكاثوليك وحاصر بعضهم الخطية الأصلية بفقدان نعمة الصورة ونعمة سكنى الروح القدس، ولا تزال الأبحاث تُنشر كل عام عن القديس أغسطينوس.

أما عندنا، فالسؤال الحرج، ماذا فعلنا بالدارسين؟ وهم يعيشون تحت حزام الفقر. إن مَنْ ينفق الملايين على بناء الكنائس وليس لديه ميزانية للتعليم هو من يجلس على ملفات الماضي، وكأن الحاضر والمستقبل هو فقط ما يراه من فتحة بئر مظلم يقبع فيه.

البديلة العقابية تضرب وتدمر رشم الصليب. وكلمات التعميد التي تقال عند رشم الصليب: "باسم الآب والابن والروح القدس" تؤكد لنا أن الصليب هو استعلان

محبة الثالث لنا لأن "الله محبة"، والمحبة هنا ليست صفة من صفات الله، ولكنها جوهره
 حسبما قال الرب نفسه: "لهذا يحبني الأب لأنني أضع نفسي لآخذها أيضًا" (يو ١٠:
 ١٧). وعندما يتحول صليب الرب إلى قانون أو شريعة، فلا مجال بعد ذلك لأي حديث
 عن محبة اله.

يا ليتنا ننظر إلى المستقبل، وندرس ونخطط لما سيكون عليه هذا المستقبل.

دكتور

جورج حبيب بباوي